دمية القصر

هو في الصنعة من الفحول وإن كان من الحول وشعره في جنان الفضل من الخور . وقد صاحبته حيناً من الدهر فوجدته من نوادر العصر وطبعه طبع البحتري وإن كان البحتري واديا ً يطم على القرى . ثم له في حسن معاملته مع أهل خطته نيقة أنيقة وطريقة لا تعدل بها طريقة . وكان قاضي القضاة أبو محمد الحسن الناصحي Bه يعده في المختصين بجانبه ويلحقه بأقاربه دون أجانبه علما ً منه بجزالة عقله وغزارة فضله . قرأت له في كتاب قلائد الشرف قصيدة نظامية يقول فيها : .

أعطى فقلنا ما سواه جائد ... وسطا فقلنا : ما سواه ذائد .

شغفته أسباب العلا وشؤونها ... لا مبسم رتل وثدي ناهد .

لأبي شجاع في الحروب مشجع ... ولساعديه معاضد ومساعد .

رقدت رعاياه وتحرسهم له ... همم مسافرة ورأي شاهد .

وكأنه للعزم ريح عاصف ... وكأنه للحلم طود راكد .

وإذا تشمر للعدا فرؤوسهم ... للبيض والسمر الطوال حصائد .

هاماتهم لظبى النصال موارد ... وشعورهم فوق الرماح مطارد .

وأنشدني لنفسه في السيد الأجل أبي القاسم الموسوي لنفسه : .

علي بن موسى سيد قصد بابه ... غدا سببا لليمن والبركات .

فتى خلقت للمجد أخلاقه العلا ... كما خلق الأفلاك للحركات .

أبا قاسم لولاك في مرو ناقدا ً ... لضاعت وما باعت بها كلماتي .

وأنشدني لنفسه في مفتصد مليح : .

يا من غدت فيه أحوالي منشرة ً ... مختلة ً غير مرجو تلافيها .

أشفق على اليد مهلا ً لا ترق دمها ... وارفق بها ففؤاد المبتلى فيها .

وأنشدوني له أيضا ً من قصيدة أولها : .

سقى ا ربعا ً بالمحصب دائرا ً ... حيا ً ناشرا ً فيه الأزاهير ناثرا .

ديار إذا وافيتها ظل أدمعي ... جواري عن طرفي وطرفي عاثرا .

ومنها : .

معان ترى للمسك فيها مساقطا ً ... لما سحبت فيها الغواني المعاجرا .

وحن بعيري إذ أنخنا وكيف لا ... يشوقني رسم يشوق الأباعرا .

تطرقتها والأرض مخضرة الربا ... فذكرت روض العيش أخضر ناضرا .

ألا أيها الشيخ الإمام الذي غدا ... مطول لفظي عن معانيه قاصرا .
لقد طفت وجه الأرض شرقاً ومغرباً ... وعاشرت من هذا الرجال معاشرا .
فلم أر إلا عن علاك محدثاً ... ولا بسوى طيب امتداحك سامرا .
ركبت إليك الخيل جرداً سلاهباً ... جياداً مبلين السيول حوادرا .
وقفن وما أشبهن إلا رواسيا ... وسرن فما أشبهن إلا أعاصرا .
ترى الحصيات البلق تحت نعالها ... نوافر يجلين الجراد حوافرا .
إذا نحن سميناك طرن نوازعاً ... ألا من رأى مهراً تحول طائراً .
وأنشدني لنفسه يصف دابةً شهباء للأمير أبي المظفر الماثير ناباذي : .
وشهباء تستهوي القلوب بحسنها ... إذا أومضت قلنا وميض شهاب .
وإن عصفت تحت الأمير حسبتها ... مبشرةً بالرزق تحت سحاب .
وأنشدني أيضاً لنفسه فيمن طلب فوق منزلته : .
تروم وما للصدر أنت تصدراً ... وتطمع أن تدعى الإمام ولسته .
نصحتك سامق ذروة العلم وارتبط ... شوارده والصدر حيث جلسته .
وأنشدني الحاكم هارون بن أحمد الباخرزي قال : أنشدني لنفسه : .
لنا في صحبة الأنذال سمت ... وفي حمل الأذى والصبر نهج .
فلا تتعجل الشكوى ولكن ... نعاتب ثم نغضب ثم نهجو .
وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه : .
أطلق الطبع عند أسر القوافي ... غير ناف عن الجفون كراها .
فإذا جاد باللآليء فانظم ... وإذا ما أبى فلا إكراها .
وأنشدني له أيضاً : .
لقد منيتني الإحسا ... ن تعريضاً وتصريحاً .
وكان الوعد يامولا ... ي في كلتيهما ريحا .
وقد قتلتني وا ... تعذيباً وتبريحا .
فإن لم تنو إمساكاً ... بمعروف فتسريحا .
أحمد بن محمد القائني